دور المناهج المدرسية في "جنوب أفريقيا" في التحول من العنصرية إلى الديمقراطية

(دراسة مقدمة إلى ندوة: بناء المناهج: الأسس والمنطلقات، التي تنظمها كلية التربية–جامعة الملك سعود، في الفترة من ١٢–١٤٢٤/٣/١٣هـ)

إعداد

صالح بن عبدالعزيز النصار

أستاذ المناهج وتدريس اللغة العربية المساعد

كلية التربية/ جامعة الملك سعود

ربيع الأول، ١٤٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

دور المناهج المدرسية في جنوب أفريقيا
في التحول من العنصرية إلى الديمقراطية

الملخص:

بعد أن شهدت أواخر تسعينيات القرن العشرين إرساء قواعد الديمقراطية غير العنصرية في جنوب أفريقيا، بدأت الدولة البحث عن هوية جديدة تجمع شعوبها في دولة واحدة خالية من الحواجز العرقية. وإزاء هذا التحول الاجتماعي، كان التعليم من أهم الأدوات التي عملت الدولة على توجيهها وتطويرها، لخدمة الأهداف الإنسانية والتنموية الجديدة.

وهذه الدراسة تسعى **إلى** توضيح مدى إسهام المناهج المدرسية في دولة جنوب أفريقيا في مساعدة المتعلم على فهم طبيعة التغير الذي طرأ على المجتمع جراء التحول من عهد التفرقة العنصرية إلى عهد الحرية والديمقراطية، وما صحب ذلك من تغيرات في القيم الاجتماعية، والاتجاهات وأنماط السلوك المختلفة.

وهي –أي الدراسة– تحاول تحقيق ذلك من خلال تعرف أهم الغايات التربوية الواردة في وثائق المناهج المدرسية المطورة في دولة جنوب أفريقيا، ودور المناهج المدرسية بشكل عام في تحقيق تلك الغايات، خصوصاً دور منهجي "الثقافة والفنون"، و "العلوم الاجتماعية"؛ وأخيراً تعرف أهم القيم الاجتماعية الواردة في وثائق المناهج المدرسية في دولة جنوب أفريقيا.

وقد أظهرت نتائج الدراسة تأكيد دستور جمهورية جنوب أفريقيا أهمية معالجة تقسيمات الماضي، وتأسيس مجتمع مبني على القيم الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وحقوق الإنسان الأساسية، بوصفها من أهم أسس التحول والتطوير في مناهج التعليم في جنوب أفريقيا.

وقد سعت وثيقتا منهج الثقافة والفنون، والعلوم الاجتماعية (اللتان أمكن الرجوع إليهما في هذا البحث) إلى تشجيع المتعلمين على بناء المعرفة الشاملة للتنوع والاختلاف التي تتميز به الدولة، ومحاولة فهم هذا التنوع، بما في ذلك فهم الثقافة والدين، والاختلافات العرقية

الناتجة عن هذا التنوع. وهذه الصفات –مجتمعة– تخدم بشكل غير مباشر الغايات التربوية التي نص عليها الدستور.

وتبدو الرغبة في القضاء على التمييز العنصري، وفي إبراز العمق والأصالة في الهوية المحلية، حاضرة في أهداف وثيقة منهج الثقافة والفنون، من خلال تطوير مستوى التعاون والعمل الجماعي بين الأفراد، وفي احترام قيم الآخرين، وتقدير فنونهم، وتأكيد أهمية الثقافة المحلية في توحيد الأمة، وفي بناء دولة ديمقراطية موحدة.

كما أبرزت وثيقة منهج العلوم الاجتماعية الدور الإيجابي الذي يمكن أن تؤديه دراسة المواد الاجتماعية (التاريخ والجغرافيا) في خدمة الأهداف والغايات العليا لدولة جنوب أفريقيا، ومنها المساعدة في تعزيز المواطنة والمبادئ الديمقراطية، واكتشاف أسباب الصراعات السياسية والبيئية في الماضي والحاضر، والعمل على تشجيع السلام، وتجنب العنف، والأسباب المؤدية إليه، والنتائج الخطيرة التي تنتج عن استخدامه في حل الصراعات المختلفة.

ومن منطلق الخلفية النظرية لهذه الدراسة، والإجابة عن أسئلتها، أمكن التعرف – بوضوح– على القيم الاجتماعية المرغوبة في دولة جنوب أفريقيا، التي ألقت بظلالها الكثيفة على تنظيم المناهج المدرسية في تلك الدولة. وأهم تلك القيم التي كان لها انعكاس ملحوظ في بناء المناهج المدرسية، هي: الحرية، والديمقراطية، وتكافؤ الفرص، واحترام العمل.

المقدمة:

يؤدي المنهج المدرسي دوراً كبيراً في إعداد الأجيال الناشئة والمتعلمة بما يتفق والفلسفة التي يعتنقها المجتمع، والمبادئ والقيم التي يرتضيها. وهو كذلك أداة فعالة في معالجة المشكلات التي يعانيها المجتمع، وفي مقابلة التحديات التي تواجهه.

ولكي يكتب للمنهج المدرسي النجاح، ويؤدي الأدوار المنوطة به، ويحقق الأهداف المرجوة منه، ينبغي مراعاة الأسس الفلسفية والاجتماعية والنفسية والمعرفية عند الشروع في عملية تخطيطه، وتصميمه، وتنفيذه.

ومع أهمية تلك الأسس جميعها في عملية بناء المنهج، وفي نجاح مهمته، إلا أن الأساس الاجتماعي يعد أقوى أسس المنهج المدرسي تأثيراً في مخططي المنهج، وذلك نظراً لظروف كل مجتمع، وخصوصياته، وعاداته، وتقاليده، وقيمه، وطموحاته، ومشكلاته التي تختلف عن ظروف أي مجتمع آخر وخصوصياته (سعادة، و إبراهيم، ١٤١٢).

ومن المسلم به أن الأبعاد الاجتماعية للمجتمع تلقي بظلالها الكثيفة على تنظيم المنهج المدرسي، لأن المجتمع يعد من أهم مصادر اشتقاق أهداف التربية والمنهج المدرسي، وهو أداة التربية في بلوغ أهدافها (حميدة، ١٩٩٧).

وقد أكد عمار (١٤٢٠) أن البعد الاجتماعي يستهدف كذلك "التعرف على إمكانيات إسهام التعليم في توليد الموازنات الفكرية والقيمية والوجدانية التي تؤسس للسلام الاجتماعي، وللعروة الوثقى بين مختلف شرائح المجتمع، وللوحدة الوطنية، والتواصل الاجتماعي الإيجابي، والمشاركة الديمقراطية في صنع القرار الوطني وتحمل مسؤولياته، وجني ثماره" (ص ١٤٨).

وقد أشار محمود (٢٠٠٢) إلى أن مخططي المناهج المدرسية ومنفذيها يمكن أن يتعاونوا من أجل تحديد دور اجتماعي بارز للمنهج لمواجهة السلبيات والمشكلات التي يواجهها المجتمع. هذا الدور يمكن أن يتمثل فيما يلي.

١- تنمية وعي المتعلمين بمشكلات المجتمع التي تؤثر في مستقبلهم.

٢- توفير الحد الأدنى الملائم من المعلومات عن هذه المشكلات للتلاميذ.

٣- استخدام أساليب تعليمية أكثر فعالية في تنمية قدرات المتعلمين على حل هذه المشكلات.

٤- تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو قيم العمل والإبداع والاجتهاد، واحترام الغير.

٥- تدريب الطلاب على مهارات التفكير العلمي.

٦- تدريب الطلاب على تحديد مشكلات المجتمع وصياغتها، والتفكير في حلول إبداعية لها.

وهذه الدراسة، محاولة لتسليط الضوء على مدى انعكاس التغير الذي طرأ على المجتمع في دولة جنوب أفريقيا -في تركيبته السكانية، وفي نظمه ومؤسساته، وظواهره الاجتماعية، وفي العلاقات بين أفراده، وما صاحب ذلك من تغيرات في القيم الاجتماعية والاتجاهات وأنماط السلوك المختلفة- على المناهج المدرسية. يلي ذلك، توضيح مدى إسهام المناهج المدرسية في دولة جنوب أفريقيا في مساعدة المتعلم على فهم طبيعة ذلك التغير، وفي تحقيق تكيف الفرد عن طريق إبراز دوره في المجتمع، وواجباته نحوه، مقابل الحقوق التي يوفرها له مجتمعه، ومساعدته على اكتساب المهارات والقيم التي تعينه على أداء دوره مستقبلاً في مجتمعه على النحو المنشود.

خلفية الدراسة النظرية

"جنوب أفريقيا"، دولة أفريقية تعد الأغنى والأكثر تنمية بين دول أفريقيا، تغطي مساحتها ٤% من مساحة قارة أفريقيا، ويشكل سكانها نحو ٦% من سكان القارة. تقع دولة جنوب أفريقيا في الطرف الجنوبي من القارة على المحيط الهندي شرقاً، وعلى المحيط الأطلسي غرباً. تنقسم الدولة إلى تسع مقاطعات، وتوجد فيها ثلاث عواصم: العاصمة التشريعية، وهي مدينة كيب تاون، والعاصمة الإدارية وهي بريتوريا، والعاصمة الثالثة هي هي مدينة بلومفونتين، وبها الهيئات القضائية. وتعد مدن جوهانسبرج، وكيب تاون وديربان، من كبريات المدن الحضرية.

ووفقاً للموسوعة العربية العالمية (ج ٨، ص ص ٥٠٤-٥٠٦، ١٤١٩) فإن السكان ينقسمون إلى أربع مجموعات عرقية حسب القوانين التي كان يعمل بها منذ ١٩٨٤م

إلى ١٩٩١م. تلك المجموعات هي: ١-السود، ويمثلون ٧٦% من مجموع السكان ٢- البيض، ينحدرون من أصول أوربية (هولندا، ألمانيا، فرنسا)، ويمثلون ١٣% من مجموع السكان ٣-الملونون، ينحدرون من أصول عرقية مختلفة ويمثلون ٩٥% من مجموع السكان ٤- الآسيويون، قدم أسلافهم من الهند، ويمثلون نحو ٣% من مجموع السكان.

وقد ألغت الحكومة سنة ١٩٩١م قانوناً قسم السكان على أساس عرقي، ولكن ظلت التقسيمات العنصرية تؤدي دوراً في حياة السكان في جنوب أفريقيا. وبموجب الدستور المؤقت، ألغت الحكومة التمييز العنصري عام ١٩٩٣م.

وتعد دولة جنوب أفريقا من الدول القليلة في العالم، من حيث سيطرة الأقلية العنصرية على الأغلبية. فالبيض يسيطرون على البرلمان الذي يصدر القوانين. وقد صدرت فعلاً عن ذلك البرلمان قوانين تشريعية للوصول إلى أهدافه العنصرية المختلفة، وهي قوانين تجعل العرق جزءاً أساسياً في كل تشريع يصدر في تلك الدولة، وذلك لتوطيد استعمارها الاستيطاني، وبشكل يضمن للبيض السيطرة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ويقوم النظام التشريعي في جنوب أفريقيا على وجود مجلسين للشيوخ والنواب، ويتحتم أن يكون جميع أعضائهما من البيض، لأن القانون يحظر على السود والملونين الآسيوين أن ينتخبوا سوى الأعضاء البيض، كما يحظر عليهم الترشيح لعضوية هذين المجلسين، وحتى حق التصويت المحدد دون الترشيح، الذي كان يتمتع به بعض السود، فإنهم حرموا منه بقانون ١٩٤٩، وأصبح لايحق لهم التصويت أو الترشيح للمجلسين (الكيالي، ١٩٨٧). ولم يسمح للسود بالتصويت حتى نهاية الثمانينيات من القرن العشرين.

وقد عملت السياسة الحكومية على عزل المجموعات السكانية بعضها عن بعض سياسياً واجتماعياً. وتسمى هذه السياسة التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا. ومنذ عام ١٩٩١م بدأت الدولة تغير من تلك السياسة، من أجل توحيد السكان.

وقد وصف فليفل (١٩٩٠) المستوى الذي وصل إليه الظلم العنصري في جنوب أفريقيا بقوله: "لما كان البيض في جنوب أفريقيا قد مكنوا من امتلاك ناحية القوة العسكرية، وسيطروا على الأرض، وحولوا الأفارقة إلى عمالة فيها. فقد عملوا على تكريس هذا الوضع وديمومته. ولم يكن ليتأتى لهم ذلك إلا بفرض نظم سياسية تقوم على ضبط اجتماعي متنوع

الأساليب، يكبح –بعنف– كل طموح أفريقي، ويردي إلى الدمار كل تنظيم سياسي، ويعمل على منع الأفريقي من أن يرنوا بناظريه إلى البيض متحدياً، ناهيك عن قيامه –فعلاً– باتخاذ أية خطوات فعلية في هذا الصدد" (ص ١٩).

وبسبب القوانين العنصرية انتقدت دول العالم سياسة جنوب أفريقيا، ورفضت الأمم المتحدة سياسة التمييز العنصري، وقطعت الكثير من دول العالم علاقاتها الدبلوماسية والتجارية مع جنوب أفريقيا. ومنذ ثمانينيات القرن العشرين بدأ بعض البيض يطالبون بمنح السود حق التصويت، وضرورة إلغاء سياسة التفرقة العنصرية. وبعد أن تخلت حكومة جنوب أفريقيا عن سياسة التمييز العنصري، استأنفت معظم الدول علاقاتها التجارية معها، كما سمح لها بالاشتراك في المنافسات الرياضية العالمية.

وفي عام ١٩٩٢م، صوّت البيض في استفتاء عام بالإيجاب، طالبين بذلك من الحكومة المضي قدماً في تبني ديمقراطية غير عنصرية. وفي العام التالي ألغت الأمم المتحدة القيود التجارية كافة مع جنوب أفريقيا. وفي عام ١٩٩٤م أجرت جنوب أفريقيا أول انتخابات ديمقراطية اختارت حكومة غير عنصرية (الموسوعة العربية العالمية، ج ٨، ص ص ٥٠٤-٥٠٦، ١٤١٩)

التعليم في جنوب أفريقيا:

لقد كانت هناك نظم تعليمية متباينة خلال فترة التفرقة العنصرية. فحتى تسعينيات القرن العشرين، كانت هناك مدارس تخص كل مجموعة سكانية، وكانت الحكومة تنفق على تعليم البيض أكثر مما تنفقه على تعليم السود. وقد كان من نتيجة ذلك أن معظم البيض –تقريباً– يقرؤون ويكتبون، وتصل نسبة التعليم والقراءة إلى ٨٥% بين الآسيويين، و٧٥% بين الملونين، و٥٠% بين السود. وبحلول عام ١٩٩٤م، وعدت الحكومة الجديدة بأن يصبح التعليم إلزامياً لجميع الأطفال بدءاً من الأول من يناير ١٩٩٩م.

وقد كانت السنوات من ١٩٩١ إلى ١٩٩٥م مزدحمة بالمناقشات على المستويات كافة، لإجراء تعديلات دستورية تمهد للوصول إلى مجتمع غير عنصري، وكان التعليم أحد قضايا هذه المناقشات. وظهر ذلك جلياً في المشروع الذي تقدمت به الحكومة –آنذاك–

فيما يسمى "استراتيجية تجديد النظام التعليمي". كما أن المقترحات التي تقدم بها المؤتمر الأفريقي الوطني، أكدت أن تغييرات جوهرية في النظام التعليمي في البلاد أمر مهم لإحداث تغييرات مجتمعية مطلوبة (كتاب المعرفة، ١٤٢٢).

وبعد مشاورات واسعة مكثفة مع الخبراء والهيئات التمثيلية خلصت تلك المشروعات والمقترحات إلى أن لب المشكلات يكمن في الأمور الآتية (المرجع السابق، ص ١٩٩):

١- تراكم أعمال غير منجزة متعلقة بالمعلمين، وفصول الدراسة، وخدمات تعليمية أخرى، خصوصاً تلك التي لها علاقة بمدارس الطلاب السود الذين تتزايد أعدادهم بسرعة كبيرة نظراً للنزوح أو الهجرات بين المدن، أو نظراً لزيادة المواليد بين السود، وللظروف الاقتصادية السيئة التي يعانيها الطلاب.

٢- المحتوى السياسي للنظام التعليمي نتيجة للأسس العنصرية التي يقوم عليها، والذي يقود بالطبيعة إلى مصادمات ومقاومة من السود، وإلى انهيار "الضبط والربط" في بعض المناطق الجغرافية.

٣- المشكلات الاستثنائية المتصلة بعملية الإعداد المدرسي في مجتمع يعاني انقسامات عميقة، عرقياً وثقافياً واقتصادياً.

ولخصت تلك المشروعات مقترحات الإصلاح التعليمي في أربع نقاط أساسية هي:

أ. ألا يكون التعليم عنصرياً ولا تمييزياً.

ب. أن يمنح فرصاً تعليمية متساوية.

ج. أن يحوز قبول أغلبية الناس ودعمهم.

د. أن يُترك مجال للتعليم الذي يعتمد على جهود المجتمع لمن يرغب في ذلك.

وثائق المناهج في دولة جنوب أفريقيا:

تتألف الوثيقة العامة للمنهج الوطني للصفوف من التمهيدي وحتى التاسع (R-9) من مقدمة عامة، وثماني وثائق تعليمية على النحو الآتي.

- اللغات.
- الرياضيات.

- العلوم الطبيعية.
- الدراسات الاجتماعية.
- الثقافة والفنون.
- نمط الحياة.
- العلوم الإدارية والاجتماعية.
- التقنية.

وتحدد كل وثيقة النتائج أو المخرجات الأساسية للعملية التعليمية في نهاية الصف التاسع. كما تحدد كل وثيقة تعليمية أيضاً معايير التقويم لكل صف دراسي، وما يجب أن يعرفه الطلاب في ذلك الصف، وما هم قادرون عليه، وكيفية تطوير المهارات الذاتية مع مرور الوقت. ومعايير التقويم تلك ينبغي أن تكون مترابطة في الصف الدراسي الواحد، وفي جميع الصفوف الدراسية.

ووثيقتا المنهج اللتان تم تناولهما في هذا البحث متشابهتان في الإطار العام، وفي طريقة تقديم الموضوعات، ويختلفان في المحتوى فقط، كون إحداهما ركزت على تخصص الثقافة والفنون Arts and Culture، وركزت الأخرى على العلوم الاجتماعيةSocial Sciences .

ويبدأ الفصل الأول من كل وثيقة بالتمهيد لوثيقة المنهج الوطني المطورة لجنوب أفريقيا، والأسس الفلسفية التي قامت عليها، وأهم المخرجات التعليمية التي تسعى إلى تحقيقها، وكيفية تقويم هذه المخرجات، ثم أبرز الصفات المطلوبة في المعلمين والمتعلمين الذين تستهدفهم هذه الوثيقة، وأخيراً تعريف موجز لمنهج الثقافة والفنون، (وفي الأخرى منهج الدراسات الاجتماعية)، وأهم الأهداف، والتطبيقات، ومخرجات التعليم المتوقعة من هذا المنهج.

يلي ذلك من كل وثيقة، الفصول: الثاني، والثالث، والرابع، وقد خصص الحديث فيها عن المنهج التكاملي في التعليم ومخرجاته في كل مرحلة تعليمية (المرحلة الأولى من التمهيدي حتى الثالث الابتدائي، والمرحلة الثانية من الصف الرابع حتى السادس، والمرحلة الثالثة من الصف السابع حتى التاسع)، ومعايير التقويم المتبعة لقياس فاعلية تلك المخرجات،

ومدى تحقيقها في كل مرحلة تعليمية. وأخيراً، خصص الفصل الأخير للحديث عن القياس والتقويم ومبادئه، ومعاييره، وكيفية تطبيقه.

منهجية الدراسة

مشكلة الدراسة:

في دولة مثل "جنوب أفريقيا"، يصعب انتزاع مشكلة التعليم من أسس النظام العنصري الذي كان سائداً حتى العام ١٩٩٤، ومن فلسفته القائمة على "الفصل العنصري التعليمي" لمختلف المجموعات العرقية. وقد نتج عن التعليم العنصري عدد من السلوكيات غير الإنسانية التي تقوم على تمجيد البيض ومعارفهم وتراثهم، واحتقار من سواهم ومعارفهم وتراثهم، مما أدى إلى صراعات عنصرية سببت تأخر الدولة، وانتشار البغض والكراهية في أوساط الشعب.

لكن، بعد أن شهدت أواخر تسعينيات القرن العشرين إرساء قواعد الديمقراطية غير العنصرية في جنوب أفريقيا، بدأت أعداد كبيرة من المواطنين تعمل على إزالة الخلافات التي أفرزتها سياسة الفصل العنصري، كما بدأت جنوب أفريقيا البحث عن هوية جديدة تجمع شعوبها في دولة واحدة خالية من الحواجز العرقية.

وإزاء هذا التحول الاجتماعي، كان التعليم من أهم الأدوات التي عملت الدولة على توجيهها وتطويرها لخدمة الأهداف الإنسانية والتنموية الجديدة، وأكثرها فاعلية. لذلك، فقد حدثت سلسلة من التغيرات في المناهج المدرسية في "جنوب أفريقيا" منذ أن أجريت الانتخابات الديمقراطية في العام ١٩٩٤م، وإلى يومنا هذا. وهذه الدراسة، محاولة للتعرف على الدور الذي تؤديه المناهج المدرسية في دولة جنوب أفريقيا في صياغة الهوية الجديدة، وفي بناء الإنسان الديمقراطي الحر.

أسئلة الدراسة:

١- ما أهم الغايات التربوية الواردة في وثائق المناهج المدرسية في دولة جنوب أفريقيا؟

٢- ما دور المناهج المدرسية بشكل عام في جنوب أفريقيا في تحقيق الغايات التربوية؟

٣- ما دور منهج الثقافة والفنون في تحقيق الغايات التربوية؟

٤- ما دور منهج العلوم الاجتماعية في تحقيق الغايات التربوية؟

٥- ما أهم القيم الاجتماعية الواردة في وثائق المناهج المدرسية في دولة جنوب أفريقيا؟

أهداف الدراسة:

١- تعرف أهم الغايات التربوية الواردة في وثائق المناهج المدرسية في دولة جنوب أفريقيا.

٢-تعرف دور المناهج المدرسية بشكل عام في جنوب أفريقيا في تحقيق الغايات التربوية.

٣- تعرف دور منهج الثقافة والفنون في تحقيق الغايات التربوية.

٤- تعرف دور منهج العلوم الاجتماعية في تحقيق الغايات التربوية.

٥- تعرف أهم القيم الاجتماعية الواردة في وثائق المناهج المدرسية في دولة جنوب أفريقيا.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة في تعرف طبيعة التحول الاجتماعي الإيجابي من عهد التمييز العنصري إلى عهد الحرية والديمقراطية في دولة جنوب أفريقيا. والوعي بطبيعة ذلك التحول مهم في تعرف الفلسفة التي شكلت في ضوئها الغايات التربوية الواردة في وثائق المناهج المدرسية. كما تبرز أهمية هذه الدراسة في استجلاء دور المناهج المدرسية نفسها في تحقيق تلك الغايات التربوية، ومواجهة السلبيات والمشكلات التي خلفها نظام الفصل العنصري.

مجتمع الدراسة:

وثائق المناهج المدرسية المطورة في دولة جنوب أفريقيا لمراحل التعليم العام.

عينة الدراسة:

١- وثيقة المنهج الوطني المطورة لدولة جنوب أفريقيا (٢٠٠٢م). من التمهيدي حتى الصف التاسع، تخصص: الثقافة والفنون Arts and Culture.

٢- وثيقة المنهج الوطني المطورة لدولة جنوب أفريقيا (٢٠٠٢م). من التمهيدي حتى الصف التاسع، تخصص: الدراسات الاجتماعية Social Sciences.

مصطلحات الدراسة:

١- **الدستور**: "هو القانون السياسي الأساسي الذي ينظم الدولة ويبرمج نظام الحكم، وأسلوب العلاقة بين السلطات، ويحدد صلاحيات الرؤساء والوزراء، والمجالس والهيئات العليا، إلخ"(خليل، ١٩٩٩، ص٨٥). وفي هذا البحث يقصد بالدستور القانون السياسي الأساسي الذي ينظم دولة جنوب أفريقيا، ويبرمج نظام الحكم فيها.

٢- **حكم الفصل العنصري "أبرتايد" Apartheid**: يقصد به في هذا البحث السياسة التي اتبعتها حكومة البيض في جمهورية جنوب أفريقيا للتمييز العنصري بين سكانها من البيض والسود منذ إعلانها في عام ١٩٤٨م، حتى إلغائها عام ١٩٩١م. وكان هدفها الأساسي يكمن في التنمية المنفصلة للمجموعات العرقية العديدة التي يتكون منها السكان. وتعرف هذه السياسة باسم "الأبرتايد"، وهي كلمة تعني الفصل في اللغة الأفريكانية (الموسوعة العربية العالمية،ج ٧، ص ٥٤، ١٤١٩).

٣- **الديمقراطية**: "الحكم بوساطة الشعب، بجعل السلطة وسط الناس، يحركها التشريع العقلاني، ويربطها بالناس وبمصالحهم قدر المستطاع (خليل، ١٩٩٩، ص ٩٢). ويقصد بها في هذا البحث حق الشعب بجميع فئاته في دولة جنوب أفريقيا في التمتع بكامل الحقوق السياسية مثل الانتخاب، والمشاركة في البرلمان، والحرية في إبداء الرأي، وغير ذلك مما هو من متطلبات الديمقراطية، ولم يكن متاحاً لجميع فئات الشعب في ظل حكم الفصل العنصري.

٤- **حقوق الإنسان**: يضع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ المبادئ الرئيسة للحقوق المهنية، والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والحريات الفردية. وينص الإعلان على أن كل الناس يولدون أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق. وورد في ديباجة الإعلان أن

المقصود منه أن يكون هو المستوى الذي ينبغي أن تستهدفه الشعوب والأمم كافة. (الموسوعة العربية العالمية، ج٩، ص ٤٧٢، ١٤١٩)

نتائج الدراسة

أولاً: الغايات التربوية لمناهج جنوب أفريقيا Educational Aims

يقدم دستور جمهورية جنوب أفريقيا (الفقرة ١٠٨، السنة ١٩٩٦) أسس التحول والتطوير في مناهج التعليم لدولة جمهورية جنوب أفريقيا. وفي مقدمة الدستور كانت الغايات واضحة، وهي ما يلي.

١- معالجة تقسيمات الماضي، وتأسيس مجتمع مبني على القيم الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وحقوق الإنسان الأساسية.
٢- تحسين نوعية الحياة لكل المواطنين، وتحرير الطاقات الكاملة لكل شخص.
٣- وضع أسس المجتمع المفتوح الديمقراطي الذي تُبنى فيه الحكومة وفق رغبة الشعب، والأفراد كلهم سواسية في حماية القانون.
٤- بناء جنوب أفريقيا الموحدة الديمقراطية القادرة على أخذ مكانتها بوصفها دولة متميزة في الأسرة الدولية.

ويلاحظ أن هذه الغايات تتصف بالعمومية والتجريد، ويحتاج تحقيقها إلى عدد كبير من السنوات، وهو ما يعد أمراً طبيعياً في مثل هذا المستوى من الأهداف أو الغايات. وقد وصف سعادة و إبراهيم (١٤١٢) الغايات التربوية بأنها من أكثر العبارات الهدفية عموماً، "بحيث يتم الإعلان فيها للناس عن القيم التي تؤمن بها بعض المجموعات من أجل برنامج تربوي معين" (ص ٣٠٩).

ومع أن هذه الغايات تمثل الإطار العام الذي يمكن الرجوع إليه لتحديد الأهداف في المستويات التالية، وتعبر عما يرجوه المجتمع والمربون من صفات في أجيال المستقبل، إلا أنها تعكس بوضوح الخلفية السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عاشتها دولة جنوب أفريقيا، والتي أدت إلى بناء تلك الغايات، لتصبح منطلقاً للتطوير، والتغيير، وللتنمية بجميع أشكالها.

ففي الغاية الأولى، تتضح جلياً صورة الشرخ الكبير الذي أصاب التركيبة الاجتماعية المتسقة جراء التسلط الأجنبي، والظلم العنصري القائم على التدخل القسري في شؤون البلاد، وفي نهب خيراتها، وتهميش دور أهلها الأصليين، واتخاذهم عبيداً، أو أرقاء، أو اعتبارهم سكاناً من الدرجة الثانية، أو غير مؤهلين لبناء حضارة إنسانية حديثة.

هذا الشرخ الذي أصاب التركيبة السكانية أدى —بدوره– إلى حدوث انقسامات، وفرقة، ونزاع بين السود والبيض، وبين البيض والملونين والآسيويين. وقد ساعد في تأجج هذه النزاعات قيام البيض بسن القوانين والنظم العنصرية التي تجعل لهم من السلطة والصلاحيات وامتلاك الثروات مالا يجوز لغيرهم.

لذا، فلا غرابة أن تكون الغاية الأولى للدستور هي تأسيس مجتمع مبني على القيم الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وحقوق الإنسان الأساسية. وهذه جميعها كانت مفقودة أو مشوهة في ظل النظام العنصري، الذي عانت جنوب أفريقيا ويلاته سنين عديدة.

والغاية الثانية من الدستور لا تقل أهمية عن التي قبلها، بل هي أصل منها، ونتيجة لها، وهي تحسين نوعية الحياة لكل المواطنين، وليس لبعضهم، أو لفئة دون أخرى. وقد كان من أبرز سلبيات الفصل العنصري زيادة الطبقية الاجتماعية، واستحواذ أفراد فئة معينة على الثروات والأراضي والوظائف المحترمة، دون غيرهم من المواطنين.

وقد نتج عن تلك الطبقية الاجتماعية –على المدى البعيد– انخفاض مستوى المعيشة، والتعليم، والصحة في أوساط السود ومن على شاكلتهم من الملونين والبيض. كما نتج عن تلك الطبقية أيضاً الإحباط الكبير، واهتزاز ثقة الناس (من السود خاصة) في أنفسهم، وفي قدراتهم، مما استوجب أن ينص في الدستور على أهمية تحرير الطاقات الكاملة لكل شخص، دون النظر إلى لونه، أو عرقه، أو مكانته.

وفي الغاية الثالثة، نص صريح على الرغبة في الترجمة الصحيحة للديمقراطية التي من أبرز مظاهرها بناء الحكومة وفق رغبة الشعب كله دون استثناء، وليس وفق رغبة فئة دون غيرها. ومن مظاهر الديمقراطية كذلك أن يكون الناس كلهم سواسية في حماية القانون، ولا يكون القانون لحماية طبقة من الشعب دون سواها. وهذه الغاية من الدستور تشير إلى الرغبة الأكيدة في التحرر من سيطرة الأقلية العنصرية على الأغلبية، كون البيض يسيطرون على

البرلمان الذي يصدر القوانين، والتصويت من حق البيض دون سواهم وذلك حتى نهاية الثمانينيات من القرن العشرين.

أما الغاية الرابعة من الدستور، فهي هدف استراتيجي سياسي وجغرافي في آن واحد، وهي الرغبة في بناء جنوب أفريقيا الموحدة. ذلك لأن السياسة الحكومية القائمة على التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا قد عملت على عزل المجموعات السكانية بعضها عن بعض سياسياً واجتماعياً.

وقد نتج عن هذه السياسة العنصرية انعزال الدولة عن العالم الخارجي، إذ أدانت معظم دول العالم حكومة جنوب أفريقيا، وقطعت علاقاتها معها، ومنعتها من كثير من المشاركات الدولية. وتحول جنوب أفريقيا من عهد العنصرية إلى عهد الديمقراطية سيجعلها قادرة على أخذ مكانتها بصفتها دولة متميزة في الأسرة الدولية.

ثانياً: دور المناهج المدرسية في جنوب أفريقيا في تحقيق الغايات التربوية

إن الغايات المستقبلية التي نص عليها الدستور في جنوب أفريقيا ترسم الاتجاهات العامة للدولة، ولا تختص بعلم من العلوم، أو بمقرر من المقررات. وهذه الغايات –حتى مع عموميتها– على درجة كبيرة من الأهمية، لرسم إطار العمل في المراحل التالية. فتحديد هذه الغايات "يعني بداية عملية تحليل، يقصد منها تعريف مكونات كل هدف منها، ثم بعد ذلك تصنيفها على أساس المستويات التالية، ثم تحديد صلاحية كل منها للمراحل التعليمية المختلفة، بناء على نتائج عملية التحليل والتصنيف للأهداف العامة للتربية" (حميدة، ١٩٩٧،ص ١٥٩)

ولجعل الغايات التربوية أكثر قابلية للتحقيق فقد سعت وثائق المنهج إلى ترجمتها على شكل مخرجات عملية يمكن ملاحظتها. فقد أوضحت وثيقة المنهج المطورة "تخصص الدراسات الاجتماعية"(٢٠٠٢)، أن النظام التربوي المبني على النتائج **Outcomes-based Education** يشكل أسس المنهج في دولة جنوب أفريقيا. وأن المنهج يسعى إلى مساعدة المتعلمين على تحقيق أقصى مستوى من التعلم حسب قدراتهم. ويمكن تنفيذ ذلك من خلال تحديد المخرجات (النتائج) التعليمية التي يُسعى إلى تحقيقها في نهاية العملية التعليمية. وتلك

المخرجات تشجع الاتجاه التربوي القائم علىتأدية النشاط، وعلى أن المتعلم هو محور العملية التعليمية، وهي تخدم الغايات التربوية بشكل غير مباشر.

وقد أشارت وثيقة المنهج الوطني المطورة لدولة جنوب أفريقيا "تخصص الثقافة والفنون" (٢٠٠٢م) إلى أن وثيقة المنهج المطور تبني نتائج العملية التعليمية للتعليم العام ونمط التدريب –من التمهيدي حتى الصف التاسع– على مقترحات تربوية مستوحاة من الدستور، ومطورة بطريقة ديمقراطية.

ووفقاً للوثيقة المشار إليها آنفاً فإن النتائج أو المخرجات الأساسية (Outcomes Critical) للتعليم تستهدف المتعلمين القادرين على تحقيق ما يلي.

١– تحديد المشكلات وحلها، واتخاذ قرارات مناسبة باستخدام التفكير الإبداعي والناقد.

٢– العمل بأسلوب فاعل مع الآخرين كأعضاء في فريق، أو جماعة، أو مؤسسة أو مجتمع.

٣– التنظيم والتحكم في أنفسهم وفي أنشطتهم بطريقة مسؤولة وفاعلة.

٤– جمع المعلومات، وتحليلها، وتنظيمها، وتقويمها بطريقة ناقدة.

٥– التواصل بفاعلية باستخدام الأشياء المرئية والرمزية، ومهارات اللغة.

٦– استخدام التقنية والعلوم استخداماً فاعلاً وإيجابياً، مظهرين في الوقت نفسه المسؤولية تجاه البيئة والصحة والآخرين.

٧– فهم العالم كمجموعة مترابطة من الأنظمة، وإدراك أن حل المشكلات لايمكن أن يتم بعزلها عن سياقها العام.

أما النتائج أو المخرجات التطويرية أو الإنمائية (Developmental Outcomes) للتعليم فتستهدف المتعلمين القادرين على تحقيق ما يلي:

١– اكتشاف عدد من الطرق والاستراتيجيات التي تساعد على التعلم بفاعلية.

٢– المشاركة –كمواطنين مسؤولين– في مجال الحياة المحلية والوطنية والعالمية.

٣– التصرف بلباقة وحساسية في المواقف الاجتماعية المختلفة.

٤– اكتشاف فرص العمل ومواصلة الدراسة.

٥– اكتشاف فرص التجارة وطلب الرزق.

من جهة أخرى، أشارت وثيقة المنهج المطورة "تخصص الدراسات الاجتماعية" إلى أنها تهدف إلى تعزيز الالتزام والحماس كما التنافس في أوساط المعلمين الذين على عاتقهم تطوير البرامج الخاصة للتعلم **Learning Program** . ولدعم هذه العملية فإن قسم التربية في دولة جنوب أفريقيا (يوازي وزارة التربية والتعليم في البلاد العربية) سيقوم بوضع الخطوط الأساسية للعملية التعليمية في كل مرحلة دراسية. في حين تقوم كل مقاطعة برسم الخطوط الرئيسة لها بما يساعد على التكيف مع الاختلافات الثقافية والتعددية العرقية في المجتمع.

وتلك المخرجات الأساسية والتطويرية –المشار إليها آنفاً– تمثل عبارات هدفية تقع في منتصف الطريق بين الغايات التربوية (المشار إليها في إجابة السؤال الأول)، والأهداف التعليمية أو الخاصة، وذلك بالنسبة إلى عموميتها. أما فيما يتعلق بموضوعاتها فهي توضح بشكل كبير الدور الذي يمكن أن يؤديه المنهج في تحقيق الغايات التربوية.

فقد سعت وثيقتا المنهج التي اطلع عليهما الباحث إلى تأكيد أهمية "بناء المتعلم مدى الحياة life long learner الحر، الواثق بنفسه، متعدد المهارات، المثقف، الذي يحترم بيئته، والقادر على المشاركة الفاعلة في أنشطة المجتمع المختلفة". (الثقافة والفنون ص ٢، والدراسات الاجتماعية ص٣).

وهما أيضاً تحاولان إبراز العلاقة بين العدالة الاجتماعية، والحقوق الإنسانية، والبيئة الصحية. كما تحاولان تشجيع المتعلمين على بناء المعرفة الشاملة للتنوع والاختلاف التي تتميز به الدولة، ومحاولة فهم هذا التنوع، بما في ذلك فهم الثقافة والدين، والاختلافات العرقية الناتجة عن هذا التنوع. وهذه الصفات مجتمعة تخدم بشكل غير مباشر الغايات التربوية التي نص عليها الدستور.

ثالثاً: دور منهج الثقافة والفنون في تحقيق الغايات التربوية

يغطي منهج الثقافة والفنون سلسلة واسعة من الإرث الثقافي والفني في جنوب أفريقيا. والثقافة والفنون يكملان بعضهما بعضاً حتى ليكادا يكونان جزءاً واحداً لا يتجزأ من الحياة، ولهما دور في دعم الجوانب النفسية والمادية والفكرية والعاطفية للإنسان. والثقافة تعبر

عن نفسها من خلال الفنون، ومن خلال أسلوب أو نمط الحياة، وأنواع السلوك، والتراث، والمعرفة ، ونوع الاعتقاد.

وقد نصت وثيقة منهج الثقافة والفنون (ص ٤) على أن هذا الجزء من التعلم، يشجع المتعلمين على ما يلي.

١- الانتقال من السلبية في اكتساب الثقافة إلى المشاركة في صنعها.

٢- عكس مستوى الإبداع في الفنون والأداء والأحداث الثقافية.

٣- توضيح الاتصال بين العمل الفني والثقافة.

٤- فهم السياقات المختلفة التي تظهر من خلالها الثقافة مثل الموقع الجغرافي، والجنس، والطبقة الاجتماعية، والطبقة الاقتصادية.

٥- توضيح العلاقة بين الممارسات الثقافية، والثقافة السائدة أو المتشرة في البلاد.

٦- تحليل تأثير عامل الوقت في الثقافة.

٧-فهم صور تعبير الفنون عن نفسها والتحديات التي تواجهها.

والهدف الرئيس من هذا التخصص -الثقافة والفنون- كما أشارت إلى ذلك وثيقة المنهج (ص ٤)، هو تزويد المتعلمين بمعلومات عامة حول هذا الموضوع. كما أن هناك أهدافاً تفصيلية لهذا الجزء من التعلم منها ما يلي.

١- تزويد المتعلمين بالمعرفة والخبرة حول الرقص والدراما والموسيقى والفنون التصويرية، والتحف، والتصميم، والإعلام، والتواصل، وإدارة الفنون، وتقنية الفنون، والتراث.

٢- تطوير مستوى الإبداع لدى المتعلمين بوصفهم مواطنين مسؤولين، خصوصاً فيما يتعلق بمبادئ الديمقراطية وقيمها، التي نص عليها الدستور في دولة جنوب أفريقيا.

٣- تطوير مستوى الوعي بأهمية الثقافة المحلية في توحيد الأمة وبنائها.

٤- تأسيس الإبداع الثقافي والفني ودعمهما، وصفهما أحد المصادر الغنية في جنوب أفريقيا.

٥- تزويد المتعلمين بالفرص الممكنة، والمعرفة، الاتجاه، والقيم التي تعد المتعلمين للمشاركة في الحياة، ولضمان استمرار التعلم.

٦- تطوير الفهم الذي يشير إلى أن الفنون لغة رمزية.

والثقافة والفنون تشارك في العملية التعليمية الشاملة، ويتحقق هذا من خلال خلق الفرص التي تعين المتعلمين على ما يلي.

١- تطوير الفهم الصحي للنفس (كيف يرى المتعلمون أنفسهم).

٢- العمل في مجموعات ومنفردين.

٣- تطوير فهم أعمق للغناء الثقافي والفني، وتنوع التراث التي تتميز بها دول جنوب أفريقيا.

٤- تطوير المهارات العملية أو التطبيقية في مختلف أوجه الفنون.

٥- احترام القيم الإنسانية والهوية.

٦- تطوير التعلم مدى الحياة والمهارات التي تعد الإنسان لتعلم لاحق، أو للحياة. (وثيقة المنهج، ص ٥)

وبقراءة سريعة لأهداف وثيقة منهج الثقافة والفنون، ولفرص التعلم المشار إليها آنفاً، يتضح تركيزها على تأسيس قاعدة ثقافية وفنية تسعى إلى تأصيل الإبداع الثقافي والفني، ودعمه، وتطوير مستوى الوعي لدى المتعلمين بأهمية الثقافة والفنون في الحياة. هذه القاعدة نفسها يراد لها أن تكون منطلقاً لتنمية الإبداع الثقافي والفني بما يخدم روح المواطنة، والمسؤولية "خصوصاً فيما يتعلق بمبادئ الديمقراطية وقيمها التي نص عليها الدستور في دولة جنوب أفريقيا".

وتبدو الرغبة في القضاء على التمييز العنصري، وفي إبراز العمق والأصالة في الهوية المحلية، حاضرة في هذه الأهداف من خلال تطوير مستوى التعاون والعمل الجماعي بين الأفراد، وفي احترام قيم الآخرين، وتقدير فنونهم، وتأكيد أهمية الثقافة المحلية في توحيد الأمة، وفي بناء دولة ديمقراطية موحدة.

ويلاحظ كذلك أن المخرجات الأساسية والتطويرية للثقافة والفنون تشكل نوع المعرفة، والمهارات، والقيم التي ينبغي على المتعلم أن يتمكن منها في مجال تعلم الثقافة والفنون. وتقوم وثيقة الثقافة والفنون بخدمة الرؤية المتمثلة في المخرجات الأساسية (Critical Outcomes)، وفي المخرجات التطويرية (Developmental Outcomes). وهي (أي الوثيقة) تفعل ذلك من خلال استخدام وسائل وطرق عديدة للتعلم، تهدف إلى تطوير

الإمكانات والقدرات لكل متعلم، وتسعى في الوقت نفسه في تحقيق الغايات التربوية وترجمتها على أرض الواقع.

والجدول رقم (١) يوضح ارتباط بعض وسائل وطرق التعلم التي نصت عليها وثيقة منهج الثقافة والفنون (ص، ٥) بالمخرجات الأساسية أو التطويرية.

الجدول رقم (١)، يوضح ارتباط بعض وسائل وطرق التعلم التي نصت عليها وثيقة منهج الثقافة والفنون، بالمخرجات الأساسية أو التطويرية.

م	وسائل وطرق تعلم الثقافة والفنون (كما نصت عليها الوثيقة)	ارتباطها بالمخرجات الأساسية Critical Outcomes	ارتباطها بالمخرجات التطويرية Developmental Outcomes
١	استخدام التفكير الناقد والإبداعي، وتطبيق استراتيجيات اتخاذ القرارات، وحل المشكلات، عند إنشاء الأعمال الفنية، أو التأمل فيها.	تحديد المشكلات وحلها، واتخاذ قرارات مناسبة باستخدام التفكير الإبداعي والناقد.	
٢	ربط ما ينتجه المتعلم من فنون، أو مايمارس من أنواع الثقافة، بالنظام الثقافي والفني العام لجنوب أفريقيا.	فهم العالم كمجموعة مترابطة من الأنظمة، وإدراك أن حل المشكلات لايمكن أن يتم بعزلها عن سياقها العام.	التصرف بلباقة وحساسية في المواقف الاجتماعية المختلفة.
٣	اختيار الأدوات المناسبة، والتنسيق بين العناصر المختلفة لتشكيل منتج نهائي ذي قيمة ومعنى.	جمع المعلومات، وتحليلها، وتنظيمها، وتقييمها بطريقة ناقدة.	
٤	جمع المعلومات حول الفنون، والتاريخ، والمهن، والتراث والممارسات الثقافة وتنظيمها وتحليلها.	جمع المعلومات، وتحليلها، وتنظيمها، وتقويمها بطريقة ناقدة.	
٥	توجيه الانتباه إلى الأشكال المتعددة للاتصال من خلال أنواع الفنون المختلفة.	التواصل بفاعلية باستخدام الأشياء المرئية والرمزية ومهارات اللغة.	

تابع الجدول رقم (١)

٦	الاشتراك في الأعمال الفنية الجماعية المتعددة، مع إمكانية العمل والإبداع المنفرد.	العمل بأسلوب فاعل مع الآخرين كأعضاء في فريق، أو جماعة، أو مؤسسة، أو مجتمع.	
٧	الاشتراك في عملية النمو والتطور في الاتجاهات الحديثة، وأساليب الحياة، من خلال تشكيلة واسعة من الممارسات الثقافية والفنية، التي تعين في الوقت نفسه على التواصل والاهتمام الاجتماعي.		المشاركة –كمواطنين مسؤولين– في مجال الحياة المحلية والوطنية والعالمية. التصرف بلباقة وحساسية في المواقف الاجتماعية المختلفة.
٨	الإعداد للوظيفة أو العمل في مؤسسات ومصانع الفنون المختلفة.		اكتشاف عدد من الطرق والاستراتيجيات التي تساعد على التعلم بفاعلية. اكتشاف فرص العمل ومواصلة الدراسة. اكتشاف فرص التجارة وطلب الرزق.
٩	تطوير العمل اليديوي الإبداعي، القائم على احترام المهن والحرف وتعزيز مكانتها.	التنظيم والتحكم في أنفسهم وفي أنشطتهم بطريقة مسؤولة وفاعلة.	اكتشاف فرص التجارة وطلب الرزق.

رابعاً: دور منهج العلوم الاجتماعية في تحقيق الغايات التربوية

تهدف العلوم الاجتماعية Social Sciences إلى دراسة العلاقات بين الناس أنفسهم، وبينهم وبين البيئة التي يعيشون فيها. وهذه العلاقات تتغير بتغير الزمان والمكان. كما أن هذه العلاقات تتأثر بالنواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والبيئة، والقيم والاتجاهات والتي يحملها الأفراد.

ووفقاً لوثيقة منهج العلوم الاجتماعية في دولة جنوب أفريقيا، فإن المفاهيم والمهارات والعمليات تعد المفاتيح الأساسية لدراسة الجغرافيا والتاريخ في منهج الاجتماعيات، وهي (أي: دراسة المواد الاجتماعية) تهتم بماذا يتعلم المتعلم، وكيف يتعلم، وكيف يبني المعرفة. وتشجع الوثيقة نفسها المتعلمين على طرح الأسئلة والبحث عن الإجابات حول المجتمع والبيئة التي يعيشون فيها.

وقد نصت وثيقة منهج العلوم الاجتماعية (ص ٤)، على أن دراسة التاريخ في التعليم العام تهدف إلى تمكين المتعلمين من:

١- المعرفة العامة والوعي بتاريخ الناس في جنوب أفريقيا.

٢- فهم الاختلافات التي حدثت في الماضي، وكيف أدت أو تؤدي إلى تشكيل الحاضر والمستقبل.

٣- الفهم العام لكيفية تفسير التراث ودور ذلك في بناء الهوية الوطنية.

٤- تقدير العادات والتقاليد، ودور البيئة في تطور التاريخ.

٥- القدرة على أن يكونوا متعلمين مسؤولين وناقدين جيدين من خلال السياق الذي تحترم فيه الحقوق الإنسانية والبيئية.

٦- فهم التطور الذي حصل في النواحي الاجتماعية، وتأثير التقنية في المجتمع والبيئة.

٧- فهم المؤسسات الاجتماعية المختلفة، وكيفية التفاعل معها أو الاشتراك في أنشطتها.

٨- وتملك المهارة على التصرف بفاعلية وبشكل ناقد مع المعلومات التي ترد من جهات ومصادر عدة لتفسير حدث أو قضية واحدة.

أما دراسة الجغرافيا في التعليم العام فتهدف -كما نصت على ذلك الوثيقة نفسها- إلى تمكين المتعلمين من:

١- المعرفة والفهم بالمكان الذي يعيش فيه، وموقعه من البيئة أو الأماكن المحيطة به، وتأثير المكان في اتصال الناس وتفاعلهم بعضهم مع بعض.

٢- فهم الطرق والسبل التي عن طريقها يتفاعل الناس مع البيئة، ويستجيبون للعمليات أو التحولات الإنسانية والمادية.

٣- زيادة الوعي بالعلاقات الاجتماعية بين الأفراد، ومحاولة فهم التغيرات المحلية والعالمية فهماً متوازناً وناقداً.

٤- الاهتمام بالعالم المحيط بنا، والاستعداد للتضحية أو المشاركة فيما يساهم في استقراره.

٥- بناء الاتجاهات، والقيم، والأفعال المعينة على فهم التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية والتكيف معها بفاعلية.

والتربية البيئية وحقوق الإنسان جزءان رئيسان في هذا المنهج أيضاً.

ويلاحظ من تلك الأهداف أن العلوم الاجتماعية -بشقيها التاريخ والجغرافيا- تهدف إلى تنمية الوعي بكيفية التأثير في المستقبل من خلال مقابلة التحديات الاقتصادية، و الظلم الاجتماعي (بما في ذلك التفرقة العنصرية والجنسية)، وذلك لبناء مجتمع قائم على الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وحقوق الإنسان.

وتؤكد دراسة التاريخ، بشكل عام، وفق ما جاء في وثيقة المنهج (ص٥، ٦) على:

- خبرات الناس العاديين.
- الأحداث التاريخية المهمة.
- العمليات التاريخية المهمة (مثل التصنيع أو الثورة الصناعية)
- طرق فهم الموقع الجغرافي وتأثيره التاريخي.
- الدراسات التاريخية والجغرافية، والبيئية، والتربية الديمقراطية.

وفي الجغرافيا، فإن المتعلم سيكتشف:

- الظلم الاجتماعي، وطرق البحث عن الموطن، والصراع على الموارد البيئية.
- انحسار المصادر المختلفة.
- التوزيع العادل للأرض.
- واستراتيجيات التغيير.

وبالإضافة إلى تزويد المتعلم بالمعرفة والفهم والمهارة التي تمكنه من التقويم الصحيح، واحترام جميع الثقافات واللغات وتقديرها، فإن هذه الوثيقة تبرز الدور الإيجابي الذي يمكن أن تؤديه دراسة المواد الاجتماعية في خدمة الأهداف والغايات العليا لدولة جنوب أفريقيا، ومنها المساعدة في تعزيز المواطنة والمبادئ الديمقراطية، واكتشاف أسباب الصراعات السياسية والبيئية في الماضي والحاضر، والعمل على تشجيع السلام، وتجنب العنف، والأسباب المؤدية إليه، والنتائج الخطيرة التي تنتج عن استخدامه في حل الصراعات المختلفة.

كما لاتغفل الوثيقة الإشارة إلى توجيه المعرفة والمهارات التي أشير إليها سابقاً في دعم القيم وتعزيزها ، والطرق العملية لتعزيز العدالة الاجتماعية، وحقوق الإنسان، في المدرسة وفي المجتمع العام.

وتؤكد الوثيقة –في الوقت نفسه– أهمية تركيز الحديث على قضايا مهمة مثل: العنصرية Race، الجنسgender، الطبيقة الاجتماعيةclass ، الرهاب الاجتماعي xenophobia، ومدى تأثير هذه الأشياء في الماضي والحاضر. والتركيز على مثل تلك الأمور دعوة صريحة للاستفادة من دراسة العلوم الاجتماعية في معالجة القضايا الحاسمة التي خلفها نظام الفصل العنصري، وهو ما تؤكد عليه الغايتان الأولى والثانية من الدستور، المشار إليهما في إجابة السؤال الأول.

خامساً: أهم القيم الاجتماعية الواردة في المناهج المدرسية لدولة جنوب أفريقيا

في ضوء الخلفية النظرية لهذا الدراسة، وما تلى ذلك، من التعرف على الغايات التربوية لمناهج دولة جنوب أفريقيا، ودور المناهج المدرسية في تحقيق تلك الغايات، يمكن التعرف بوضوح على القيم الاجتماعية المرغوبة في دولة جنوب أفريقيا، والتي ألقت بظلالها الكثيفة على تنظيم المناهج المدرسية في تلك الدولة.

ويعد التعرف على القيم الاجتماعية أمراً ضرورياً ومهماً بالنسبة لمخططي المناهج المدرسية، والعاملين على تصميمها وتنفيذها. وتلك الأهمية تعود إلى الرغبة في ترجمة تلك القيم إلى سلوك مرغوب يحقق نوعية المواطن المنشود، "سواء كان هذا المواطن المنشود ترسيخاً

وتعزيزاً لنمط مقوماته السائدة حالياً، أم مغايراً لذلك النمط مغايرة تتباين بدرجة متفاوته في حجمها ونوعها ومدى اختلافها وتجديدها." (عمار، ١٤١٦، ص ٩)

وتنمية القيم وتطويرها مهم ليس فقط لتطوير الذات ونمو الشخصية، بل لتأكيد –أيضاً– أن هوية جنوب أفريقيا قد أسست وفق قيم مختلفة عن تلك التي أسستها التربية القائمة على سياسة التفريق العنصري.

وقد أشارت وثيقة المنهج "تخصص الثقافة والفنون" إلى أن المتعلم الذي يهدف التربويون إليه هو ذلك الملهم بتلك القيم، والذي يتصرف وفق اهتمامات المجتمع المبنية على احترام الديمقراطية، والمساواة، واحترام حقوق الإنسان، والعدالة الاجتماعية.

وفي دولة "جنوب أفريقيا" كان التطلع عالياً إلى بعض القيم المهمة في بناء الإنسان، وفي بناء المجتمع، وفي بناء الدولة. وأهم تلك القيم التي كان لها انعكاس ملحوظ في بناء المناهج المدرسية، هي: الحرية، والديمقراطية، وتكافؤ الفرص، واحترام العمل.

١ – الحرية:

تستهدف حرية المواطن ضمان حريته في إبداء رأيه في الانتخابات، وحريته في التعبير عن نفسه في مختلف وسائل الإعلام، وحريته في النقد وإبداء الرأي، وحريته في اختيار مكان عمله، وسكنه، وحريته في تنقله.

الحرية هي جوهر أي نظام ديمقراطي حقيقي، وذلك لأن كيان الإنسان وكرامته وإنسانيته هي قوام الديمقراطية، وهذا يتضمن حق الفرد في ممارسة حريته دون تعارض مع حرية الجماعة التي هو فرد فيها (حميدة، ١٩٩٧).

وفي "جنوب أفريقيا" تقلص نطاق الحرية مع ازدياد التسلط الأجنبي، والظلم العنصري القائم على التدخل القسري في شؤون الناس الأصليين، وفي تهميش دورهم، واتخاذهم عبيداً، أو أرقاء. لذا، فلا غرابة أن يكون للمناهج المدرسية دور رئيس في إعادة الاعتبار لتلك الحرية المفقودة، وفي تحقيقها على أرض الواقع، وإزالة كل مايصادم وجودها على مستوى الأشخاص، وعلى مستوى الدولة.

وقد سبقت الإشارة إلى تأكيد وثيقتي المنهج اللتين استند إليهما الباحث أهمية بناء الإنسان الحر، الواثق بنفسه، الذي يحترم نفسه، ويحترم الآخرين. كما أكدت مناهج

التعليم الاتجاهات التي تشعر التلميذ بحريته، وحقه في التعبير عن نفسه، وحقه في الاختلاف مع الآخرين، وحقه في المشاركة في جميع أوجه النشاط التي يرغب فيها.

وتتضمن مناهج التعليم –في ثنايا الحديث عن الحرية الشخصية– إشارات متعددة إلى أهمية الجماعة، ومسؤولية الفرد تجاه الجماعة التي يعيش فيها، أو يعمل معها، كسبيل لاحترام القيم الإنسانية، والهوية، وحق الآخرين في الحرية.

وقد أشارت وثيقة منهج الثقافة والفنون أهمية إتاحة الفرص للتلاميذ للعمل في مجموعات أو منفردين، وأهمية التصرف بلباقة وحساسية في المواقف الاجتماعية المختلفة. كما أكدت وثيقة منهج العلوم الاجتماعية تقدير عادات الناس وتقاليدهم، وفهم المؤسسات الاجتماعية المختلفة، وكيفية التفاعل معها أو الاشتراك في أنشطتها، وكذلك زيادة الوعي بأهمية العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وأهمية فهم التغيرات الاجتماعية والتكيف معها بفاعلية. كل ذلك من أجل تعميق مفهوم الحرية في نفوس المتعلمين، وحقهم في ممارسة حرياتهم، بما لايتعارض مع حريات الآخرين، وأن حرية الإنسان حق مشروع لايجوز مصادرته من قبل أفراد أو فئات أو مجموعات مهما كانت الأسباب.

٢– الديمقراطية:

الحرية والديمقراطية قيمتان يكمل بعضهما بعضاً، فلا حرية بدون ديمقراطية، ولا ديمقراطية بدون حرية[١]. والديمقراطية أسلوب حياة، "سواء في بعدها الاجتماعي حيث المساواة بين الناس جميعاً في الحقوق والواجبات، أو في بعدها السياسي فلا يوجد فرق أو ميزة لإنسان –أيا كان– على غيره، سواء كان حاكماً أو محكوماً" (حميده، ١٩٩٧).

وفي دولة جنوب أفريقيا أدت سيطرة الأقلية العنصرية على الأغلبية إلى سيطرة البيض على البرلمان الذي يصدر القوانين، ومنع السود من التصويت حتى نهاية الثمانينيات من القرن العشرين، أجريت بعدها في العام ١٩٩٤م أول انتخابات ديمقراطية اختارت حكومة غير عنصرية.

---

[١] في المجتمع الإسلامي، تحل الشورى –بوصفها منهجاً ربانياً في تنظيم شؤون الناس والدولة– محل الديمقراطية التي تعتمد على القوانين الوضعية وحكم الشعب. كما أن الحرية في مفهومها الإسلامي مضبوطة بحدود وتشريعات ربانية لا يجوز للفرد أو الجماعة تجاوزها، أو استبدال غيرها بها.

ونظراً للاختلافات العنصرية والطائفية والقبلية في جنوب أفريقيا فقد كانت الديمقراطية السبيل الأمثل للتعايش السلمي بين مختلف الطبقات والفئات. ولأهمية هذه القيمة، فقد نص عليها الدستور (الفقرة ١٠٨)، بوصفها غاية تربوية حاسمة. وقد تكررت العبارات التي تدعو إلى تطبيق الديمقراطية في الدستور المذكور. فمرة يدعو الدستور إلى تأسيس مجتمع مبني على الديمقراطية، وأخرى إلى وضع أسس المجتمع الديمقراطي الذي تبنى فيه الحكومة وفق رغبة الشعب، وثالثة دعوة إلى بناء جنوب أفريقيا الموحدة الديمقراطية.

ويأمل التربويون في دولة جنوب أفريقيا أن يؤدي المنهج المدرسي دوراً رئيساً في بناء الإنسان الديمقراطي الحر من خلال تأكيد أهمية إشراك التلاميذ في عملية النمو والتطور في الدولة، وتدريبهم على الممارسات الديمقراطية الصحيحة داخل المدرسة وخارجها.

وفي وثيقة منهج الثقافة والفنون إشارة إلى أهمية تطوير مستوى الإبداع لدى المتعلمين، بوصفهم مواطنين مسؤولين، خصوصاً فيما يتعلق بمبادئ الديمقراطية وقيمها التي نص عليها الدستور، وتأكيد –كذلك– أهمية الثقافة المحلية في بناء دولة ديمقراطية موحدة.

أما وثيقة منهج العلوم الاجتماعية ففيها نص على أن دراسة التاريخ في التعليم العام تهدف إلى تمكين المتعلمين من فهم المؤسسات الاجتماعية المختلفة، وكيفية التفاعل معها، أو الاشتراك في أنشطتها. كما أن "التربية الديمقراطية"، و "استراتيجات التغيير" من الموضوعات التي أكدت الوثيقة أهمية تدريسها للطلاب (ص ٥، ٦).

٣- المساواة:

تهدف المساواة –بوصفها قيمة اجتماعية– إلى إعطاء جميع أفراد المجتمع الفرصة للإسهام في نمو المجتمع وتطويره، بغض النظر عن طبقتهم، أو لونهم، أو دينهم. ومبدأ المساواة يقتضي مبدأ تكافؤ الفرص الذي يهدف إلى "إتاحة الفرصة لكل فرد ليقوم بدوره في المجتمع على أساس من الحرية الفردية التي تعطي الفرد الحق في اختيار نوع العمل الذي يناسبه، وفي الوقت نفسه يتمشى مع ميوله ورغباته، ويناسب قدراته واستعداداته العقلية وخبراته السابقة" (حميده، ١٩٩٧، ص ٩٥).

وفي دولة جنوب أفريقيا، أدت سياسة الفصل العنصري إلى زيادة الطبقية الاجتماعية، واستحواذ أفراد فئة معينة على الثروات والأراضي والوظائف المحترمة دون غيرهم من المواطنين. وقد كان من نتائج هذه السياسة على المدى البعيد التوزيع غير العادل لأهم متطلبات الحياة، مثل التعليم والصحة، كون البيض يحظون بفرص تعليمية أفضل من غيرهم، وبمستوى من العلاج والصحة أعلى من غيرهم.

وربما كان من أبرز مظاهر عدم المساواة في التعليم "أنه حتى العام ١٩٨٧ كان على الطلاب السود أن يشتروا الكتب، والكراسات المدرسية، في حين أن هذه الوسائل تقدم إلى الطلاب في مدارس البيض مجاناً" (كتاب المعرفة، ص ١٩٧). كما أصبحت الوظائف الحكومية المرموقة، والمناصب القيادية الحساسة حكراً على طائفة البيض دون غيرهم من السود أو الملونين.

وقد سعت مناهج التعليم في دولة جنوب أفريقيا إلى ترجمة الغايات التربوية التي تحث على المساواة وتكافؤ الفرص مثل: "تحسين نوعية الحياة لكل المواطنين"، و "تحرير الطاقات الكاملة لكل شخص"، و "الأفراد كلهم سواسية في حماية القانون"، وذلك من خلال إتاحة الفرصة للتلاميذ لاختيار الخبرات التعليمية والأنشطة المدرسية التي تناسب ميولهم واهتماماتهم دون تفرقة أو تمييز فيما بينهم على أي أساس كان، وهو ما يفهم ضمناً من استهداف الوثائق المشار إليها في هذا البحث إلى تطوير الإمكانات والقدرات لكل متعلم، دون النظر إلى أي اعتبار آخر.

ولزيادة وعي التلاميذ بأهمية المساواة وتكافؤ الفرص، فقد نصت وثيقة منهج العلوم الاجتماعية على أهمية تمكين المتعلمين أثناء دراسة التاريخ من "المعرفة العامة والوعي بتاريخ الناس في جنوب أفريقيا"، و"فهم الاختلافات التي حدثت في الماضي، وكيف أدت أو تؤدي إلى تشكيل الحاضر والمستقبل".

أما في مادة الجغرافيا، فقد أشارت الوثيقة نفسها، إلى ضرورة أن يكتشف المتعلم آثار الظلم الاجتماعي، وأهمية التوزيع العادل للأرض، والنتائج الخطيرة التي قد تحصل جراء عدم المساواة، أو استبداد طائفة من الناس بالفرص الجيدة دون غيرهم.

٤ – احترام العمل:

لقد كان من النتائج الحتمية لسياسة الفصل العنصري التي كانت سائدة في دولة جنوب أفريقيا ظهور الطبقية الاجتماعية. تلك الطبقية، كانت تعلي من شأن بعض الأفراد أو الطبقات، والمهن التي يمارسونها، وتقلل –في المقابل– من شأن بعض الأفراد الآخرين أو الطبقات، والمهن التي يمارسونها.

والمدرسة التي تنشأ في المجتمع الطبقي تركز –عادة– على الدراسات النظرية التي تدرب العقل، كالمنطق والفلسفة، والرياضيات، وتهمل الجوانب التطبيقية، مما يؤدي إلى عزلها عن البيئة ومجالات العمل. وفي هذه الحالة، فإن الإعداد المهني يتم في معظم الأحوال خارج المدرسة، مما يؤدي إلى نظرة متدنية للعمل اليدوي والمشتغلين به (حميده، ١٩٩٧).

ومع التحول في دولة جنوب أفريقيا من عهد العنصرية إلى عهد الديمقراطية، كان على المناهج المدرسية أن تسعى إلى إذابة الفروق التي غرسها نظام الفصل العنصري بين طبقات الشعب قدر المستطاع. واحترام العمل، وإعلاء قيمته، كونه أحد أهم الأدوات التي يمكن من خلالها تضييق الفجوة بين ما يطلق عليه الطبقة البرجوازية، وطبقة العمال، أو الطبقة الكادحة.

وقد تناولت المناهج المدرسية في دولة جنوب أفريقيا هذه القيمة (احترام العمل) من خلال توفير الفرص التي تساعد على تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو العمل، واحترامه بكل أنواعه وصوره. ومن تلك الفرص التي وفرتها المناهج المدرسية للتلاميذ اكتساب مهارات العمل الجماعي وتنفيذه بأسلوب علمي. فقد نصت وثيقة منهج الثقافة والفنون في المخرجات الأساسية للتعليم على أهمية إعداد المتعلمين القادرين على "العمل بأسلوب فاعل مع الآخرين كأعضاء في فريق، أو جماعة، أو مؤسسة أو مجتمع".

كما أكدت الوثيقة عينها ضرورة تهيئة المواقف التعليمية التي تساعد التلاميذ على "اكتشاف فرص العمل"، "واكتشاف فرص التجارة، وطلب الرزق"، و على "تطوير المهارات العملية أو التطبيقية في مختلف أوجه الفنون".

الخاتمة

لما أراد مجتمع جنوب أفريقيا أن يتخلص من تداعيات التفرقة العنصرية التي كانت سائدة حتى العام ١٩٩٤م، التفت إلى المناهج المدرسية مؤمناً بأهميتها في النهضة بجميع أشكالها، ومدركاً دورها في معالجة المشكلات التي يعانيها، وفي مقابلة التحديات التي تواجهه.

وقد أبرزت نتائج هذه الدراسة دور المناهج التربوية في جنوب أفريقيا المهم والحاسم في تحقيق الغايات التربوية التي رسمها الدستور الجديد الذي صدر العام ١٩٩٦م، وفي ترجمتها على أرض الواقع، حيث هدفت تلك المناهج إلى تطوير الإمكانات والقدرات لكل متعلم، بوصفه مواطناً في جنوب أفريقيا الديمقراطية.

ومناهج التعليم في دولة جنوب أفريقيا –من خلال هذه الدراسة– تقدم مثالاً واقعياً وحقيقياً للدور الذي يمكن أن تؤديه المناهج المدرسية بشكل عام في تغيير الثقافة السائدة غير المرغوبة في المجتمع، وفي توضيح أسباب التغير الاجتماعي الطبيعية والبشرية، والدوافع التي أدت إلى هذا التغير، وفي توجيه المتعلمين إلى التغير الإيجابي المنشود، وفي بناء القيم والأسس الجديدة التي يرتضيها المجتمع الحر الذي يهدف إلى التقدم والازدهار.

المراجع

- حميدة، إمام مختار. (١٩٩٧). أسس بناء وتنظيمات المناهج: الواقع والمأمول. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
- سعادة، جودت أحمد، و عبدالله محمد إبراهيم. (١٤١٢). المنهج المدرسي الفعال. عمان: دار عمار.
- عمار، حامد. (١٤١٦). في التوظيف الاجتماعي للتعليم. القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب.
- عمار، حامد. (١٤٢٠). في التنمية البشرية وتعليم المستقبل. القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب.
- فليفل، السيد. (١٩٩٠). نظم الحكم العنصرية في جنوب أفريقيا. القاهرة: مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر.
- كتاب المعرفة رقم ١١. (١٤٢٢). التعليم من حولنا: تجارب من دول العالم. وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية. الرياض: روناء للإعلام المتخصص.
- الكيالي، إحسان. (١٩٨٧). العنصرية والفصل العنصري في جنوب أفريقيا وإسرائيل: دراسة مقارنة. دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
- محمود، صلاح الدين عرفة. (٢٠٠٢). المنهج المدرسي والألفية الجديدة: مدخل إلى تنمية الإنسان وارتقائه. القاهرة: دار القاهرة
- الموسوعة العربية العالمية. (١٤١٩). ط٢. الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.

- Revised National Curriculum Statement Grades R-9 (Schools), Policy: Arts and Culture. (2002). Department Of Education. South Africa.
- Revised National Curriculum Statement Grades R-9 (Schools), Policy: Social Sciences. (2002). Department Of Education. South Africa.